- الأدب العربي في نيجيريا -

أما الأدب العربي بمعنى التعليم والتربية فتاريخه مقرون بتاريخ دخول الإسلام وكان يتوسع بتوسع الإسلام ويتقلص بتقلصه.

أما الأدب بمعنى التثقيف والنضوج الفكري الذي يتمخض عنه الشعر والنثر الفني فيعود ذلك إلى أوائل القرن السابع الهجري حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري وهي الفترة التي ازدهر فيها الأدب بما لا يقل عن ازدهاره في بلاد العرب التي هي المهد الأول لهذا الأدب.

ولقد ترك الأدباء النيجيريون كثيراً من آدابهم في مختلف الفنون العربية والإسلامية.

وقد بلغ بهم النضوج الأدبي إلى أن كانوا ينشئون رسائلهم العادية بالقصائد والأشعار و يعتبرون من يعجز عن ذلك من الزعانف الذين يعجزون عن لحاق الرجال.

والنهضة الأدبية الجديد ة كانت في القرن الثالث عشر الهجري على أيدي أبناء فودي وتلاميذهم وكان أميرهم وقائدهم الشيخ عبد الله بن فودي الذي يلقب بنادرة الزمان وعلاَّمة السودان على الأ طلاق، وقد ترك ما يزيد على مائتي كتاب قيّمة في مختلف الفنون، وقد أفرغنا لهذا الباب رسالة خاصة تنشر قريبًا إن شاء الله.

«الإسلام»:

لقد انبثق فجر الإسلام على سماء نيجيريا في أواخر القرن الأول الهجري الذي فتح فيه المسلمون العرب شمال أفريقيا وجزءاً من غربها.

وقد اندفع تيار الإسلام إلى نيجيريا من منبعين أولهما من مصر عبر السودان العربي وبلاد فور وباغرمى و برنو، وثانيهما من شمال أفريقيا إلى جنوب الصحراء حتى وصل إلى المناطق الغابية والساحلية.

لم يكتسح الإسلام القبائل والشعوب اكتساحًا ولا أدرجها إدراجًا في أول دخوله ولكنه تسلل فيها تسللاً قد يتسرب إلى ناحية دون الأخرى، وتكون بجوار قبيلة مسلمة قبيلة أخرى كافرة أو تكون في قبيلة واحدة مدينة مسلمة وبجانبها مدينة وثنية.

وقد ترى من بعض أفراد أسرة واحدة من هو مسلم وإلى جانبه من أعضاء الأسرة نفسها من لا يزال يرزح تحت أغلال الكفر والوثنية كما ترى الملوك والسلاطين الكفار يشهدون الأعياد الإسلامية إلى جانب المسلمين ويتقدمون بالهبات والصدقات إلى الأئمة والعلماء في هذه المناسبات اشتراكًا مع المسلمين في أعيادهم وهم لا يزالون في جهالة الكفر والوثنية وقد فتح هذا التسامح وعدم الإكراه قلوب كثير من الوثنيين وشرح صدورهم حتى اعتنقوا الإسلام عن طواعية واختيار.

وهذا التسامح أيضًا هو الذي جعل المسلمين يعيشون مع غيرهم في أمن وسلام ويقسطون إلى الذين لم يقاتلوهم في الدين و لم يخرجوهم من ديارهم إنما يقاتلون الذين قاتلوهم لعقيدتهم ويعتدون عليهم بمثل ما اعتدوا عليهم.

ولقد كان الإسلام ينتشر في ربوع أفريقيا الغربية بقوته الروحية لا بالقوة المادية وكانت النفوس تنجذب إليه بمغناطيسه الطبيعي لا بدعاية الأموال والأسلحة ولكل ذلك شواهد ناطقة تحت سماء هذه البلاد إلي يومنا هذا.

وللتجار المسلمين والعلماء الروحانيين فضل لا ينكر في نشر الدعوة الإسلامية، هذا وقد ساعد على ذيوع الإسلام وانتشاره بسرعة عجيبة موافقته لطبيعة أهل البلاد في كثير من تعاليمه وتقاليده.

ويوجد في بعض الجهات آحاد من الغزاة المرابطين والملوك المجاهدين الذين سجل التاريخ لهم مواقف محمودة وآثاراً ملموسة في هذه البلاد ولكنهم لم يقوموا بالجهاد الاستعماري وإنما جمعوا بين الجهاد والدعوة لتأمين حياتهم والدفاع عنها وكسر شوكة الوثنيين.

وكل من درس تاريخ الإسلام علم أصول الجهاد وشروطه وعلم أن المسلمين الغالبين يعيشون مع المغلوبين كتفاً إلى كتف سواسية كأسنان المشط لا فرق بينهم في اللون والد م والجنس ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح.

ولقد سجل التاريخ لقبائل ونفاواه وفلانه ومالي وسنغي وبرنو أدواراً هامة وتواريخ مجيدة في الشئون السياسية والاجتماعية والثقافية فيما حول نهر النيجر شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا وكل ذلك بفضل الإسلام وثقافته ومن آثار ذلك أن اليربويين يسمون الإسلام بدين مالي لأنهم عرفوه عند أهالي مالي بالقرن السابع الهجري.

ولقد ازدهرت الثقافة العربية مع الد ين الإسلا مي في هذه البلاد قرونًا عديدة قبل أن تتسرب إليها الديانة المسيحية والثقافية الأوربية الحاضرة.

«الأستعمار»

هو في الاصطلاح الحديث عبارة عن احتلال الأجانب أرض غيرهم بقوة السلاح لاستغلال خيراتها واستعباد سكانها وتسخيرهم لأغراضهم ويرجع

عهد الاستعمار في هذه البلاد إلى زمن بعيد كما يتعدد المستعمرون إلى ما يأتي :

أولاً: الزنوج الذين هاجروا من موطنهم الأصلي إلى غرب أفريقيا وحاربوا أهلها وغلبوهم على أمرهم واستعمروا بلادهم .

ثانيًا: المصريون الذين اكتشفوا نيجيريا في عهد الفراعنة القدماء واستعمروها وخلفوا بها آثارًا مصرية كتماثيل خزفية ومسلات حجرية وحجارات منقوشة بحروف هيروغليفية وقد عثر على بعضها على ضفة نهر من أنهار هذه البلاد .

ثالثًا: النوبيون والأحباش الأثيوبيون الذين تركوا مخلفاتهم وآثارهم في بلاد بوشي وأدماوي من آلات العصر الحجري الحديث التي عثر عليها حديثًا وأثبت البحث والتحقيق أنها من مخلفاتهم فيها .

رابعًا: الفينقيون والقرطاجنة الذين امتدوا من شمال أفريقيا إلى غربها ضمن اكتشافاتهم ورحلاتهم التجارية الواسعة النطاق .

خامسًا: العرب والبربر الذين هاجروا مع أفريقش من اليمن إلى شمال أفريقيا ثم نزحوا منها إلى جنوب الصحراء وانتشروا في رقاعها إلى أن وصلوا إلى المحيط الأطلسي جنوبًا وغربًا .

سادسًا: وهو الأخير : الأوربيون الذين ضاقت عليهم سبل العيش في بلادهم وبدأوا ينشدونها في السياحات والمغامرات التي قام بها إلى أفريقيا أفراد قلائل باسم التجارة أحيانًا وباسم الإرساليات المسيحية أحيانًا أخرى ثم انتهى بهم الأمر إلى أن يصبحوا حكام البلاد على الرغم من أهلها .

والبرتغاليون هم أول من وصلت سفنهم إلى خليج الغنية سنة ١٤٨٥م ودخلوا مدينة بنين واتصلوا بمليكها وعقدوا معه المعاهدة الودية.

وفي سنة ١٥٥٣م وصلت أول حملة انجليزية إلى هذه الشواطىء بقصد التجارة ولكنها لم تنجح في هذه المرة بل مات كثير منها. غير أن الأنجليز لم يهنوا ولم يستكينوا بل استمروا في اعادة الكرة وهكذا دواليك إلى أن كتب لهم النجاح سنة ١٥٨٨م وأنشأوا فيها أسواقًا إلى جانب البرتغاليين والهولنديين الذين سبقوهم إليها، وكانت تجارتهم في بادىء الأمر مقتصرة على العاج والفلفل وزيت النخيل وبذوره والنخاسة التي ظلت زمنًا أكبر مورد للثراء الإنجليزى حتى سنة ١٨٠٧م التي ألغوا فيها النخاسة.

ولما كانت لاغوس أكبر مرافىء غرب أفريقيا للنخاسة ومعرضًا للسلع الأوربية كان من الطبيعي أن يتخذها الأنجليز مركزًا لهم في الحل والعقد وبابًا ينفذون منه إلى داخل البلاد و سائر النواحي المنطوية اليوم تحت عنوان نيجيريا.

ومن لا غوس ابتدأ الاستعمار الإنجليزي في نيجيريا بصورة ضئيلة ثم لم يزل يزداد ويتسع حتى تفاقم أمره وبلغ سيله الزبى وقد ابتدأ ذلك بتدخل الإنجليز في شئون لاغوس بسبب تنازع الأخوين على عرش لاغوس أولهما أكنتوبى وثانيهما كُوسُوكو. وكان الأول عميلاً لهم فانتصروا له على الثاني الذَي لم يخضع لهم ولم يرض بالاستعمار فخلعوه ونصبوا الأول ملكًا على لاغوس بعد أن عقدوا معه معاهدة تتضمن توسيع أعمال المبشرين وإطلاق حريتهم في طول البلاد وعرضها وفتح أبواب البلاد على شركاتهم التجاريةو . . .

فبذلك سقطت لاغوس تحت أقدم الإنجليز سنة ١٨٦٢م ثم بدأوا يتغلغلون في الجهات المجاورة وفعلوا فيها نفس الشيء ووضعوا عليها أيديهم بعد عقد أتفاقيات عديدة مع ملوكها وأمرائها ثم قسموها قسمين سموا الأول «محمية المنطقة الجنوبية» والثاني «محمية المنطقة الشمالية».

وقد ثارت ثائرة الملوك والأمراء بعد أن ذاقوا مرارة الاستعمار فقامت بينهم وبين الإنجليز مناوشات برمي الأ سلحة وإطلاق النيران وانتهى الأمر بتغلب القوي على الضعيف فرفع الإنجليز عليها راية الفتح والاستعمار.

ولكن الزعماء الأحرار لم يألوا جهدهم في الكفاح والنضال حتى اضطر الإنجليز إلى عقد عدة مؤتمرات في لا غوس وفي لندن نالت بموجبها البلاد استقلالها التام ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٦٠م.

●●●